

توجيهات ومواقف في مجال العبادة

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

والمدرس بالمسجد الحرام

ح عبد العزيز عبد الله الحميدي ، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميدي ، عبد العزيز عبد الله

توجيهات ومواقف في مجال العبادة . / عبد العزيز عبد الله الحميدي -

مكة المكرمة ، ١٤٣٤هـ

١٢٠ ص؛ .. سم

ردمك : ٤-٢٣٩٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- العبادات (فقه إسلامي) ٢- الوعظ والإرشاد أ.العنوان

١٤٣٤-٥٧٠٣

ديوي ٢٥٢

رقم الإيداع : ١٤٣٤-٥٧٠٣

ردمك : ٤-٢٣٩٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..
أما بعد فإن هذا الكتاب يشتمل على بيان شيء
من مواقف سلف هذه الأمة في مجال العبادة .
وإنما أدخلت هذا المجال في المواقف الإسلامية
لأنه نوع من جهاد النفس ، فالذي يصبر على السهر
الطويل والجوع والعطش يوما بعد يوم لاشك أنه
رجل عظيم ، وأنه شديد القوة حينما ملك هوى
نفسه، ثم إن الإنسان العابد يعدُّ داعية إلى الله تعالى
بالقدوة الحسنة ، ومن هذا الباب تحوّل كثير من الموالي
في تلك العصور الذين كانوا مماليك إلى رجال

صالحين أتقياء ، وبرز منهم عدد كبير في العلم ،
وذلك لأنهم نشأوا في أحضان أسر مسلمة صالحة ،
وأصبحوا يشاهدون أرباب الأسر وهم يقومون في
الليل ويصومون في النهار كثيرا ، ويعاملونهم بالمواساة
ومكارم الأخلاق، فاقتدوا بهم في هذه الأعمال
الصالحة .

ومما ينبغي أن نلاحظ أننا حينما نطلق لفظ
العبادات على الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام فإن
هذا لا يعني أن غير هذه من الأعمال الصالحة لا يدخل
تحت دائرة العبادة ، فالعبادة تشمل كل أمر مشروع
أراد به فاعله وجه الله تعالى ، سواء فيما أمر الله به من

الواجبات والمستحبات ، أو في ترك ما نهى عنه من
المحرمات والمكروهات، أو فيما أذن به من المباحات ،
فالمواقف الإسلامية في مجال الجهاد والعلم والأخلاق
وغير ذلك داخلة في المفهوم الشامل للعبادة.

ومما يدل على المفهوم الشامل للعبادة قول الله
تبارك وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
[الذاريات: ٥٦]، فالعبادة هنا ليست الشعائر التعبدية
وحدها، وإنما تشمل جميع تكاليف الدين، وكذلك
قول الرسول ﷺ: «يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد
الناس»^(١) وقوله ﷺ: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن

(١) أخرجه ابن ماجه وقال البوصيري : إسناده حسن - سنن ابن

ماجه ، رقم ٤٢١٧ ، كتاب الزهد .

امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة
يجد حلاوتها»^(١). وقوله: «قال الله عز وجل: أحب
ماتعبدني به عبدي النصيح لي»^(٢).
وإنما أردت بالعبادات هنا الشعائر التعبدية ،
وسرت في تسميتها على ما سار عليه العلماء من إطلاق
لفظ العبادات عليها بناء على المصطلحات العلمية
التي ميّزوا بها بين العلوم الدينية .

(١) أخرجه الإمام أحمد - مسند أحمد ٥ / ٢٦٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد - المسند ٥ / ٢٥٤ .

نماذج من عبادة النبي صلى الله عليه وسلم

يجدر بنا أن نبدأ بذكر نماذج من عبادة النبي ﷺ على سبيل التمثيل، فمن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى من حديث عروة بن الزبير رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر^(١) رجلاه، قالت عائشة: يارسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟ فقال: «ياعائشة أفلا أكون عبدا شكورا!»^(٢).

(١) أي تشقق وأصله تتفطر فحذفت التاء.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المناقب، رقم ٢٨٢٠ ص ٢١٧٢

صحيح البخاري، التهجد، رقم ١١٣٠ (١٤/٣).

فهذا الخبر يصور لنا شدة اجتهاد النبي ﷺ في
العبادة، حيث كان يقوم من الليل يصلي ويطيل
الصلاة حتى تشقت قدماه من طول القيام ، وحينما
تعجبت عائشة رضي الله عنها من هذا الاجتهاد في
العبادة من رسول الله ﷺ ، الذي بلغ إلى حد الإجهاد
مع أن الله تعالى قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر
أجابها بأن هناك دافعاً إلى العبادة أعظم من مغفرة
الذنوب، ألا وهو شكر المنعم جل وعلا على نعمه
العظمى التي أجلها الهداية إلى الحق وهداية الأمة
إليه.

إنه بقدر إيمان العبد بالله تعالى تكون عظمته جل

وعلا في قلبه ، ولا أحد أقوى إيماناً من رسول الله ﷺ ،
وبذلك كان شكره لله تعالى بأمر منها هذه العبادة
الطويلة الشاقة ، وإن النبي ﷺ إذ يتقرب إلى الله تعالى
بهذه العبادة شكراً له فإنما يسُنُّ لأمته شكر الله تعالى
على نعمه بالأعمال الصالحة .

ومما جاء في بيان طول صلاة النبي ﷺ ما أخرجه
الإمامان البخاري ومسلم - واللفظ له - من حديث
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : صليت مع
النبي ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء، قيل :
وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه (١) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، رقم ٧٧٣ ، ص ٥٣٧
صحيح البخاري ، التهجد ، رقم ١١٣٥ (٣/١٩) .

فهذا الخبر يبين طول صلاة النبي ﷺ في الليل ،
فعبد الله بن مسعود كان في شبابه وكان قوي الإيمان ،
ومع ذلك همّ بالعودة ، وهذا دليل على أن قيام النبي
ﷺ غير مقدور عليه لأفراد الناس إلا بمشقة بالغة .
ولهذا الطول العظيم في صلاته ﷺ كانت ركعاته
لاتزيد عن إحدى أو ثلاث عشرة ركعة .
وهذه الصلاة الطويلة العظيمة إنما يغذيها
ويسهلها ويشوق إليها الحب الكبير العميق لله تعالى ،
والخضوع الكامل لعظمته ، وحضور القلب التام مع
جلاله وكبريائه جل وعلا .
ولقد كان ﷺ قدوة عليا للصالحين من بعده ،

الذين ترسّموا خطاه وساروا على منهاجه .
ولقد كان ﷺ لعظمة طموحه وشدة شوقه
لطول مناجاة ربه ، والتغني بتلاوة كتابه لاثممه
رجلاه أحياناً من شدة التعب فيصلي بعض صلاة
الليل قاعداً ، كما أخرج الإمام الترمذي من حديث
عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة رضي الله عنها
عن صلاة النبي ﷺ ، عن تطوعه فقالت: كان يصلي
ليلاً طويلاً قائماً ، وليلاً طويلاً قاعداً ، فإذا قرأ وهو
قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ وهو جالس
ركع وسجد وهو جالس^(١) .

(١) سنن الترمذي (٢/٢١٣ رقم ٣٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه مسلم في صحيحه (١/٥٠٥ رقم ٧٣٠) .

ومما ورد في خشوع النبي ﷺ في الصلاة ما
أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عبيد بن عمير أنه
قال لعائشة رضي الله عنها : أخبرينا بأعجب شيء
رأيت من رسول الله ﷺ ، قال : فسكتت ثم قالت : لما
كان ليلة من الليالي قال : يا عائشة ذريني أتعبد الليلة
لربي ، قلت : والله إني أحب قربك وأحب مايسرك ،
قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي ، قالت : فلم يزل
يبكي ﷺ حتى بلّ لحيته ، قالت : ثم بكى حتى بلّ
الأرض ، فجاء بلال يُؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي
قال : يارسول الله تبكي وقد غفر الله لك ماتقدم من
ذنبك وماتأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ! لقد

نزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ
وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] (١) .

وهكذا رأينا مظهرًا من مظاهر المثل الأعلى
لرسوخ الإيمان وقوة حضور القلب مع الله تعالى،
تمثل في بكاء النبي ﷺ من خشيته جل وعلا عند

(١) صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان (٢/٣٨٦ رقم ٦٢٠) .

مناجاته وتلاوة كتابه .

إنه حينما يتلو كتاب الله تعالى يتذكر هيمنة الملك
الجبار جل شأنه، ويحلّق فكره بين جنات الأفق
الأعلى، حيث الملائكة المقربون والحياة الآخرة بما فيها
من نعيم وعذاب .

وإذا مرَّ بقصص الأمم الماضية انطلق فكره في
تأمل مسيرة معركة الحق مع الباطل على أيدي من
اصطفاهم الله تعالى لرسالته ، وما يعقب ذلك من
مصارع الأمم الضالة ، ثم يُلقي نظرة على الحائرين
التائهين من حوله وهم يكررون ملحمة الطغاة
السابقين ، ويتظنون مصيرهم ومصير تابعيهم

المحزن إن لم يثوبوا إلى رشدهم .

وهكذا كانت الصلاة منتهى سعادة النبي ﷺ كما

قال : «وَجُعِلَ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١) وكما قال:

«أرحنا يا بلال بالصلاة»^(٢) .

وكان ﷺ لا يترك صلاة الليل حتى في السفر وفي

ليالي الجهاد ، وكان إذا جدَّ به السير في الليل صلى على

راحلته قاعدا ، وإذا نزل صلى في مكانه الذي ينزل

فيه .

ومما جاء في ذلك ما أخرجه الإمام مسلم وابن

(١) مسند أحمد ٣/١٢٨ .

(٢) مسند أحمد ٥/٣٦٤ .

حبان واللفظ لابن حبان من حديث زيد بن خالد
الجهني قال: «لَأَرْمُقَنَّ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّيْلَةَ
فَتَوَسَّدْتُ عَتَبَتَهُ - أَوْ قَالَ: فَسَطَاطَهُ - فَصَلَّى رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ
طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ
قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ
صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ أَوْتَرَ فَذَلِكَ
ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً»^(١).

(١) صحيح مسلم (١/٥٣١ رقم ٧٦٥) صحيح ابن حبان ترتيب
ابن بلبان (٦/٣٤٢ رقم ٢٦٠٨).

من أخبار أبي بكر الصديق رضي الله عنه

من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في خبر عن أبيها الصديق أبي بكر رضي الله عنه يوم أن كان في مكة في بداية الإسلام وقد جاء فيه « ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك دمه حين يقرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين^(١) .

(١) صحيح البخاري رقم ٢٢٩٧ ، ٣٩٠٥ .

وهكذا كان أبو بكر رضي الله عنه يبكي عند تلاوة كتاب الله تعالى ، وهذا يدل على رسوخ يقينه وقوة حضور قلبه مع الله تعالى ومع معاني الآيات التي يتلوها ، والبكاء مبعثه قوة التأثير إما بحزن شديد أو فرح غامر ، والمؤمن الحق يظل بين الفرح بهداية الله تعالى إلى الصراط المستقيم ، والإشفاق من الانحراف قليلا عن هذا الصراط ، وإذا كان صاحب إحساس حيّ وفكر يقظ كأبي بكر رضي الله عنه فإن هذا القرآن يذكره بعظمة الله تعالى وهيمنته العظمى على خلقه ، كما يذكره بالحياة الآخرة وما فيها من حساب وعقاب أو ثواب، فيظهر أثر ذلك في خشوع

الجسم وانسكاب العبرات ، وهذا المظهر يؤثر كثيرا
على من شاهده، ولذلك فزع المشركون من مظهر أبي
بكر المؤثر وخشوا على نساءهم وأبنائهم أن يتأثروا به
فيدخلوا في الإسلام .

من أخبار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مما جاء في خشوع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ما أخرجه أبو نعيم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : صليت خلف عمر فسمعت حينه من وراء ثلاثة صفوف ^(١) .

وهذا دليل على خشوع قلبه واستحضاره الجيد لمعاني الآيات التي يتلوها ، وهذا من أهم ما يُطلب من القراء وخاصة الأئمة منهم .

(١) حلية الأولياء ١/٥٢ .

من أخبار أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر عثمان بن عبد الرحمن التيمي قال: قال أبي^(١): لأغلبن الليلة على المقام ، قال : فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه ، قال: فيينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي ، فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فبدأ بأمر القرآن فقرأ حتى ختم القرآن ، فركع وسجد، ثم أخذ نعليه، فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا.

وأخرج من خبر محمد بن سيرين قال: قالت

(١) أبوه هو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي وهو صحابي رضي الله عنه ، وهو ابن أخي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

امرأة عثمان بن عفان حين أطافوا به يريدون قتله: إن
تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يجيئ الليل كله في ركعة
يجمع فيها القرآن^(١).

ففي هذين الخبرين شيء من اجتهاد أمير
المؤمنين عثمان رضي الله عنه في العبادة ، وكونه يقرأ
القرآن كله في ركعة يدل على مقدرة فائقة على طول
الوقوف في الصلاة ، لأن ذلك يعني أنه قد وقف
طوال الليل ، مع أنه كان كبير السن ، حيث جاء في
رواية أخرجه ابن عساكر أن ذلك كان يومئذ وهو

(١) حلية الأولياء ١/٥٦ - ٥٧ .

أمير^(١) وهذا لايتأتى لأحد إلا مع طول المران بكثرة الصلاة .

وأخرج الحافظ ابن عساكر من خبر الحسن بن أبي الحسن البصري قال: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان : لو أن قلوبنا طهرت ماشبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف، قال : وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ماكان يديم النظر فيه^(٢) .

هذا تذكير من أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه

(١) تاريخ دمشق ٣٩/٢٣٢ .

(٢) تاريخ دمشق ٣٩/٢٣٢ .

بأهمية تلاوة القرآن في المصحف ، فهو مع أنه يحفظ
القرآن جيداً فإنه لا يأتي يوم إلا وهو ينظر في
المصحف ، وقد بين أن سبب الإعراض عن تلاوة
القرآن هو ما تشتمل عليه القلوب من الانصراف إلى
ما هو أدنى ، وهذا نوع من فساد القلوب.

وصف أمير المؤمنين علي لعبداء الصحابة رضي الله عنهم

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر أبي أراكة قال :
صلى عليُّ الغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت
الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ، ثم قال : لقد رأيت
أثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا
يشبههم ، والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا
بين أعينهم مثل ركب المعزى ، قد باتوا يتلون كتاب
الله تعالى ، يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، إذا ذكر
الله جل وعلا مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح ،
فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم ، والله لكأن
القوم باتوا غافلين^(١) .

فهذا وصف دقيق لعبادة الصحابة رضي الله

(١) حلية الأولياء ١/٧٦ .

عنهم ، وعلي رضي الله عنه من أول من يدخل في هذا الوصف ، فقد وصفهم في إخبارهم وخشوعهم لله تعالى ، وقد تذكرهم لما عاشر خلفهم فوجد الفارق الكبير بين المجتمعين .

ونجد عليا رضي الله عنه وقد عاشر أخلاطا من التابعين في أيام خلافته يجد بعض الوحشة من ذلك المجتمع الذي غلب على بعض أفراده اختلاط النية فظهر عليهم إرادة الدنيا فيذكره ذلك بمجتمع الصحابة رضي الله عنهم فيصفهم هذا الوصف الدقيق ، حيث أشار إلى العوامل المؤثرة في استقامة سلوكهم ، وذلك بالمحافظة على قيام الليل وبذل الجهد في العبادة ومداومة ذكر الله تعالى مع التأثر بذلك ، ويقارن بينهم وبين أناس عاصروه يقومون

من نومهم مبتهجين باستقبال دنياهم، فيصفهم
بالغفلة لأنهم شغلوا بالدنيا الفانية وغفلوا عن
الإعداد للآخرة الباقية .

ولاشك أن التابعين يوجد فيهم من يتصف
بصفات الصحابة المذكورة ، بل إن عصرهم هو
أفضل العصور بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم
ولكنه أراد نسبة الكل إلى الكل ، فإذا نسب عموم
التابعين إلى عموم الصحابة تبين الفرق ، خاصة وأن
الذين يبرزون عند الفتن هم أهل الدنيا، وقد كان
عصر علي رضي الله عنه مليئًا بالفتن .

من أخبار أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

من أخبار اجتهاده في العبادة مارواه صالح بن موسى الطلحي عن أبيه قال : اجتهد الأشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقبل له : لو أمسكت ورفقت بنفسك ، قال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك ^(١).

فهذا فقه من أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه حيث تنامى شعوره بلزوم رفع رصيده من الحسنات مع تقدم سنه فاجتهد في

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٩٣ .

العبادة وَضَعْفَ تعلقه بالدنيا ، وهذا من علامات التوفيق .

ورَوَى ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَدَمْنَا البصرة مع أبي موسى فقام من الليل يتهجّد ، فلما أصبح قيل له : أصلح الله الأمير ، لو رأيت إلى نسوتك وقرابتك وهم يستمعون لقراءتك ، فقال : لو علمت لزيّنت كتاب الله بصوتي ولحبرّته تحجيراً^(١) .

فهذا اهتمام من أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بحسن تلاوة كتاب الله تعالى ، وهذا يدل على قوة

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٩٢ .

تأثره به ، وكلما كان القلب حاضرا أثناء التلاوة
متذكراً معاني كتاب الله عز وجل يكون التأثير أقوى
ويكون تفاعل الإنسان مع القرآن أعظم فيظهر
الخشوع على تلاوته .

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه
رضي الله عنه قال: غزونا في البحر فسرنا حتى إذا كنا في جُحَّة
البحر سمعنا مناديا ينادي : يا أهل السفينة قفوا
أخبركم ، فقمتم ، فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئا
حتى نادى سبع مرار ، فقلت : ألا ترى في أي مكان
نحن ، إنا لانستطيع أن نقف ، فقال: ألا أخبرك
بقضاء قضى الله على نفسه : إنه من عطش نفسه لله في

يوم حار كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة ، قال :
وكان أبو موسى لا تكاد تلقاه في يوم حارّ إلا صائما^(١) .
فهذه بشرى عظيمة للصائمين الذين لا يمنعهم
اشتداد الحرّ من مواصلة ما اعتادوا عليه من الصيام،
وقد كان أبو موسى الأشعريُّ من الذين يتقربون إلى
الله تعالى في صيام الأيام الحارة، وهذا دليل على
اهتمامه الكبير بعبادة الله تعالى.

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٩٢ .

من أخبار أبي هريرة رضي الله عنه

من أمثلة اهتمامه بعمران بيته بعبادة الله تعالى
مارؤي عن أبي عثمان النهدي قال : تضيّفت أبا هريرة
سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثًا:
يصلي هذا ، ثم يوقظ هذا ، ويصلي هذا ثم يوقظ
هذا^(١).

فهذا بيت حيّ عامر بالصلاة طوال الليل ، فأين
تجد الشياطين لها مكانا في هذا البيت !؟
إنها تربية عالية على التقوى والعمل الصالح من
الحافظ الكبير والعالم الرباني أبي هريرة رضي الله عنه،

(١) سيرة أعلام النبلاء ٢/٦٠٩ .

واستجابةً كريمة من امرأة طاهرة زكية وخادم صالح
مطيع.

إن أبناء الدنيا حينما يكلفون خدمهم بعمل كبير
فإنما يكلفونهم بأعمال الدنيا، ويرون أنه لا مصلحة لهم
بتكليفهم بعمل الآخرة، أما أبناء الآخرة فإنه من
كمال سرورهم أن يروا خدمهم يجتهدون في أعمال
الآخرة، لأنهم يكسبون بذلك أجرا على حسن
توجيههم.

من أخبار شداد بن أوس رضي الله عنه

من ذلك ما روي عنه رضي الله عنه : أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه ، لا يأتيه النوم فيقول : اللهم إن النار أذهبت مني النوم ، فيقوم فيصلي حتى يصبح (١) .

فهذه يقظة حية وإحساس قوي من شداد بن أوس رضي الله عنه ، فقد منع تذكر النار عنه الرقاد .
ولك أن تقارن هذا بمن حمل همًا كبيرًا من هموم الدنيا فأقضى مضجعه وأسهر ليله ، فإن من عُمرت قلوبهم بتذكر الآخرة أعظم من ذلك .

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦٦/٢ .

من أخبار ابن عباس رضي الله عنهما

من ذلك ما رواه ابن أبي مليكة قال : صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين^(١) ، فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفا حرفا ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب^(٢) .

وعن أبي رجاء قال : رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك من البكاء^(٣) .

فهذا يبين لنا ما كان يتصف به حبر الأمة عبد الله

(١) يعني يقصر الصلاة الرباعية فيصلبها ركعتين .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٢ .

ابن عباس رضي الله عنهما من الخشوع وحضور
القلب مع الله تعالى واستحضار عظمته وجلاله
وتذكُّر الحياة الآخرة ، فكل ذلك يؤثر في النفس تأثيرا
قويا يبعث صاحبها على البكاء المتواصل .

من أخبار أنس بن مالك رضي الله عنه

من ذلك ما رواه ثابت البناني عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال : ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن

أم سُلَيْمٍ - يعني أنسا - ^(١) .

وقال أنس بن سيرين : كان أنس بن مالك

أحسن الناس صلاة في السفر والحضر ^(٢) .

وعن ثمامة قال : كان أنس يصلي حتى تَفْطَرَ

قدماه دماً مما يطيل القيام رضي الله عنه ^(٣) .

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٠ .

فهذه الأخبار تبين لنا حُسنَ صلاة أنس بن مالك رضي الله عنه من ناحية التمام والإتقان، وأن صلاته تشبه صلاة رسول الله ﷺ ، ولا غرابة في ذلك فقد خدمه عشر سنين فهو حَرِيٌّ بأن يتأسى به ، كما تُبَيِّنُ كثرة صلاته في الليل وطولها إلى الحد الذي أثر على قدميه ، وهذا دليل على قوة إيمانه ورغبته الصادقة في بلوغ رضوان الله تعالى ورفعة الدرجات في الجنة .

ولقد كان من أثر هذا الإيمان القوي والعمل الصالح أنه كان مُجَاب الدعوة كما في خبر رواه ثابت البناني قال : جاء قَيْمُ أرض أنس فقال : عطشت أَرْضُوكَ ، فتردَّى أنس^(١) ، ثم خرج إلى البرية ، ثم

(١) أي ليس رداءه .

صلى ودعا ، فثارت سحابة وغشيت أرضه ومطرت ،
حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف ، فأرسل
بعض أهله فقال : انظر أين بلغت ؟ فإذا هي لم تعد
أرضه إلا يسيرا^(١) .

وهكذا يستجيب الله تعالى دعاء أوليائه في
الضراء ، تكريماً لهم لأنهم كانوا معه في السراء بالشكر
والدعاء والعبادة .

ومن أمثلة اهتمام أنس بن مالك رضي الله عنه
بالعبادة ما روى الجريري قال : أحرم أنس بن مالك
من ذات عرق ، قال : فما سمعناه متكلمًا إلا بذكر الله

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٠ .

تعالى حتى حلَّ ، قال فقال له : يا ابن أخي هكذا
الإحرام^(١) .

فهذا مثل من حضور القلب مع الله تعالى أثناء
العبادة، وكون أنس بن مالك لم يُسَمَّع متكلِّماً منذ
أحرم حتى حلَّ إلا بذكر الله تعالى يُعدُّ من الصبر
العظيم ، وهذا الخبر يُعدُّ نموذجاً للحج الكامل، كما
أنه يبين فهم الصحابة العالي لأحكام الشريعة ودقتهم
في تطبيقها .

(١) طبقات ابن سعد ٧/٢٢ .

من أخبار أسامة بن زيد رضي الله عنهما

من أخبار اجتهاده رضي الله عنه في العبادة
ماروي عن مولى أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال:
كان أسامة يركب إلى مالٍ له بوادي القرى فيصوم
الإثنين والخميس في الطريق ، فقلت له : تصوم
الإثنين والخميس في السفر وقد كبرت وضعفت - أو
قال: رقت - فقال: إن رسول الله ﷺ كان يصوم
الإثنين والخميس وقال : « إن أعمال الناس تعرض
يوم الإثنين والخميس »^(١) .

ففي هذا الخبر بيان اهتمام أسامة البالغ باتباع

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٦ .

السنة حيث يصوم الإثنين والخميس مع كِبَر سنّه ومع
أن الله تعالى أباح الفطر في السفر لمن صام رمضان
فكيف بصيام النفل وهذا دليل على حرص الصحابة
رضي الله عنهم على الأعمال الصالحة وإن تعرضوا
لمشقة في سبيل ذلك .

من أخبار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

من أخباره في الخشوع وحضور القلب مع الله تعالى أثناء أداء العبادة ما روي عن عروة بن الزبير قال: خطبتُ إلى ابن عمر ابنته ونحن في الطواف ، فسكت ولم يجبني بكلمة فقلت : لو رضي لأجابني والله لا أراجعه بكلمة ، فقدّر له أنه صدر إلى المدينة قبلي، ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول ﷺ ، فسلمت عليه وأدّيت من حقه ما هو أهله وأتيته فرحب بي وقال: متى قدمت؟ قلت هذا حين قدومي، فقال : كنتَ ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله بين أعيننا ، وكنتَ قادرًا أن تلقاني في غير

ذلك الموطن ، فقلت : كان أمراً قدراً ، فقال : مارأيك
اليوم؟ قلت : أحرص ماكنت قط ، فدعا ابنيه سالماً
وعبد الله فزوجني^(١) .

فهذا تذكير بليغ من عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما بما يجب أن يكون عليه المسلم في أثناء أدائه
العبادة ، فالطواف صلاة إلا أن الله تعالى أباح فيه
الكلام ، ولكن إباحة الكلام لاتعني أن ينصرف
الطائف عن موضوع الطواف ويتحدث في أمور
الدنيا ، بل إنما يباح الكلام للحاجة الطارئة .
وفي هذا الخبر بيان ماكان يتصف به عبد الله بن

(١) حلية الأولياء ١/٣٠٩ .

عمر رضي الله عنهما من الخشوع في العبادة وحضور القلب مع الله تعالى .

وكان عبد الله بن عمر من المكثرين من صلاة الليل كما رَوَى مولاه نافع عنه أنه كان يجيي الليل صلاة ، ثم يقول : يانافع أسحَرْنَا ؟ فأقول : لا ، فيعاود الصلاة إلى أن أقول : نعم ، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح ^(١) .

والمقصود بقوله « كان يجيي الليل صلاةً » أنه كان يقوم أكثر الليل ، لأن النبي ﷺ نهى عن قيام الليل كله ، كما في خبر الثلاثة الذين قال أحدهم : أما أنا

(١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٣٥ .

فأنا أصلي الليل أبدا وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : «أنتم الذين قلمت كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (١) .

ويستثنى من ذلك العشر الأواخر من رمضان لأن النبي ﷺ أحياها بالصلاة كلها .
واهتمام ابن عمر بالاستغفار في السحر يعدُّ

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح رقم ٥٠٦٣ .

صحيح مسلم ، كتاب النكاح رقم ١٤٠١ .

تطبيقاً لقول الله تعالى ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِقَوْلِ رَبِّكُمْ إِذَا اتَّيَبْتُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدِ مِنْكُمْ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِقَوْلِ رَبِّكُمْ إِذَا اتَّيَبْتُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدِ مِنْكُمْ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِقَوْلِ رَبِّكُمْ إِذَا اتَّيَبْتُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدِ مِنْكُمْ﴾ [الذاريات: ١٨].

ومن ذلك ما رواه نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعة أحيى ليلته^(١).

فهو بهذا يرى أنه لا يكفر هذا التقصير إلا إحياء الليل كله بالصلاة، أخذاً بقول الله تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣٥.

من أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما

من ذلك ما رواه عبد الله بن عبيد بن عمير قال قال ابن عباس : ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشياً، ولقد حج الحسن بن علي خمسا وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لتتقاد معه ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إنه يعطى الخف ويُمسك النعل^(١).

فهذا مثل من لزوم مالا يلزم شرعا يقوم به الحسن بن علي رضي الله عنهما ، حيث لازم الحج ماشياً خمساً وعشرين حجة ، وهذا يدل على فضيلة

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٦٠ .

المشي في الحج كما يؤيد ذلك ندم ابن عباس رضي الله
عنها على عدم قيامه بذلك أيام شبابه ، ومداومة
الحسن على ذلك مع مافيه من مشقة تدل على قوة
إيمانه ورغبته الصادقة في المزيد من الأعمال الصالحة،
والمقصود بالمشي في الحج من مكة إلى عرفة ثم من
عرفة إلى مكة ، وليس المقصود أن يحج الحاج ماشيا
من بلده، ولا يعارض ذلك كون النبي ﷺ لم يحج
ماشيا لأنه ﷺ مشرّع لأمته فهو يفعل الأيسر بهم حتى
لا يشق عليهم الاقتداء به .

من أخبار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

من أخباره في الخشوع في الصلاة ماروي عن
ثابت البناني قال : كنت أمراً ببن الزبير وهو خلف
المقام يصلي كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك^(١) .

وقال عمرو بن دينار : كان ابن الزبير يصلي في
الحجر والمنجنيق يصب توبه^(٢) فما يلتفت - يعني لما
حاصروه -^(٣) .

وعن عمر بن قيس عن أمه أنها دخلت على ابن

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٩ .

(٢) التوب حجر المنجنيق .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٩ .

الزبير بيته فإذا هو يصلي ، فسقطت حية على ابنه
هاشم فصاحوا : الحية الحية ، ثم رموها ، فما قطع
صلاته (١) .

فهذه الأخبار تدل على اهتمام عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما بالصلاة واستغراقه التام في صلته من
غير التفات إلى ما حوله ولا تفكير في أمور دنياه ، وقد
كان مشهورًا بالعبادة إلى جانب شهرته بالشجاعة
والفصاحة .

ومن أخبار اهتمامه بالعبادة ما روي عن مجاهد
أنه قال: ما كان بابٌ من العبادة يعجز عنه الناس إلا

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠ .

تكلّفه ابن الزبير، ولقد جاء سيل طبق البيت فطاف
سباحة^(١) .

وهذا من حرصه على مداومة القيام بالعمل
الصالح حتى لو كان في ذلك مشقة عليه .

ولقد كان ابن الزبير بسبب هذا الاجتهاد في
العبادة موقفا في دنياه ، يقول عمر بن قيس: كان لابن
الزبير مئة غلام يكلم كل غلام منهم بلغة أخرى ،
فكنت إذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم
يُرد الدنيا طرفة عين ، وإذا نظرت إليه في أمر دنياه

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠ .

قلت : هذا رجل لم يرد الله طرفة عين ^(١) .
وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولاغرابة في
ذلك فإن من أهم آثار العبادة بالصلاة والصيام أنها
تمنح فاعلها قوة كبرى على أمور الدنيا .
إن المسلم بقدر ما يتضرع إلى ربه بالعبادة في
الليل يمنحه القوة في النهار على تحمل أعباء الحياة
ومصاعبها .

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٨ .

من أخبار عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

من الذين اشتهروا بالإكثار من العبادة من الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ومن أخباره في ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال له : كيف تصوم؟ قال قلت : كل يوم، قال: وكيف تحتم؟ قلت : كل ليلة ، فقال : صم كل شهر ثلاثة أيام واقراً القرآن في كل شهر، قال قلت : فإني أطيق أكثر من ذلك ، قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة قال قلت: أطيق أكثر من ذلك ، قال : أفطر يومين وصم يوماً ، قال قلت: أطيق أكثر من ذلك ، قال: صم أفضل الصوم

صومَ داود عليه السلام، صيامَ يوم وإفطار يوم ،
واقراً في كل سبع ليال مرة^(١) .

وفي رواية أخرى قال : قال لي رسول الله ﷺ :
«ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال: قلت:
بلى يا رسول الله. قال : «فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم
وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً
وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك^(٢) عليك حقاً،
وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن
لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فإذا ذلك صيام الدهر،
فشددت فشدد عليّ، قلت: يا رسول الله : إني أجد قوة

(١) يعني أن يجتم القرآن كل أسبوع .

(٢) أي إخوانك الذين يزورونك .

قال: « صم صيام نبي الله داود عليه السلام لاتزد عليه ». وفي أخرى: قال النبي ﷺ إنك لتصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: نعم، قال: « إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونفثت له النفس، لا صام من صام الأبد، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله». قلت: فأني أطيق أكثر من ذلك قال: « فصم صوم داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفتر إذا لاقى»^(١).
وقوله « هجمت له العين» يعني غارت ودخلت

(١) صحيح البخاري رقم ١٩٧٥ و ٥٠٥٢، (٤/٢١٧، ٩/٩٤)، صحيح مسلم رقم ١١٥٩، (٢/٨١٢)، سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب صوم الدهر، سنن النسائي، كتاب الصوم، باب صوم يوم وإفطار يوم، سنن الترمذي، كتاب الصوم، باب ماجاء في سرد الصوم، رقم ٧٧٠.

في موضعها، وقوله « وَنَفِهَتْ لَهُ النَّفْسَ » يعني أَعَيْتَ
وَكَلَّتْ .

فهذه هممة عالية وطموح كبير من عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنهما لكنه زاد عن حدود
الاعتدال الذي ينتج عنه الإخلال بواجبات الإسلام
الأخرى فأعاد النبي ﷺ إلى حدود الاعتدال في
الصلاة والصيام.

قال الإمام الذهبي : وصح أن رسول الله ﷺ
نازله إلى ثلاث ليال، ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث،
وهذا كان في الذي نزل من القرآن . ثم بعد هذا القول
نزل ما بقي من القرآن . فأقل مراتب النهي أن تُكره

تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث ، فما فقهه ولا تدبر
من تلا في أقل من ذلك ، ولو تلا ورتل في أسبوع
ولازم ذلك لكان عملاً فاضلاً ، فالدين يسر ، فوالله
إن ترتيل سُبُح القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة
على النوافل الراتبة والضحي، وتحية المسجد ، مع
الأذكار الماثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة
ودبر المكتوبة والسحر ، مع النظر في العلم النافع
والاشتغال به مخلصاً لله مع الأمر بالمعروف، وإرشاد
الجاهل وتفهمه، وزجر الفاسق، ونحو ذلك، مع أداء
الفرائض في جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان
مع أداء الواجب، واجتناب الكبائر وكثرة الدعاء

والاستغفار، والصدقة وصلة الرحم والتواضع
، والإخلاص في جميع ذلك لَشُغْلٍ عظيم جسيم
، ول مقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين ، فإن سائر
ذلك مطلوب ، فمتى تشاغل العابد بختمة في كل
يوم ، فقد خالف الحنيفية السمحة ، ولم ينهض بأكثر ما
ذكرناه ولا تدبر ما يتلوه .

هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ
: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وكذلك قال له
عليه السلام في الصوم ، وما زال يناقسه حتى قال له :
«صم يوماً وأفطر يوماً ، صوم أخي داود عليه
السلام». وثبت أنه قال : «أفضل الصيام صيام داود»

ونهى عليه السلام عن صيام الدهر وأمر عليه السلام
بنوم قسط من الليل ، وقال: «لكني أقوم وأنام ،
وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن
رغب عن سنتي فليس مني» .

وكل من لم يَزِمَّ نفسه في تعبده وأوراده بالسنة
النبوية يندم ويترهب ويسوء مزاجه ويفوته خير كثير
من متابعة سنة نبيه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين،
الحريص على نفعهم ، وما زال ﷺ معلماً للأمة أفضل
الأعمال ، وأمرًا بهجر التبتل والرهبانية التي لم يُبعث
بها، فنهى عن سرد الصوم ، ونهى عن الوصال، وعن
قيام أكثر الليل إلا في العَشْرِ الأخيرة ونهى عن العزبة

للمستطيع ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من
الأوامر والنواهي، فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك
معذور مأجور والعابد العالم بالآثار المحمدية
المتجاوز لها مفضل مغرور، وأحب الأعمال إلى الله
تعالى أدومها وإن قلَّ، ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة
وجنبنا الهوى والمخالفة (١).

هذا وإن في نص رسول الله ﷺ على حق الأخوة
الزائرين في قوله «وإن لزورك عليك حقاً» دليلاً على
أهمية التزاور في الله تعالى بين المؤمنين حيث جعل
ذلك عملاً من الأعمال الصالحة التي يجب أن تأخذ

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٨٤).

حيزها في حياة المسلم .

وفي قوله عن داود عليه الصلاة والسلام « ولا
يفر إذا لاقى » بيان أن منهج الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام عدم الاقتصار على الشعائر التعبدية وإنما
كانوا يجمعون بين أنواع العبادة من الصلاة والصيام
والجهاد وغير ذلك .

من أخبار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

من أخباره رضي الله عنه في الخشوع في الصلاة
والبكاء من خشية الله تعالى ما ذكره الذهبي من
حديث عبيد الله بن عبد الله قال : كان عبد الله [يعني
ابن مسعود رضي الله عنه] إذا هدأت العيون قام
فسمعتُ له دويًّا كدوي النحل .

وكذلك ما ذكره من حديث زيد بن وهب قال :
رأيت بعيني عبد الله أثرين أسودين من البكاء ^(١) .
وهذا يدل على كثرة بكاء ابن مسعود رضي الله
عنه من خشية الله تعالى .

(١) سير أعلام النبلاء ١/٤٩٤ - ٤٩٥ .

من أخبار أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه

كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يوقظ أهله
لصلاة الليل كما ذكر الإمام الذهبي من أخبار أبي
برزة الأسلمي نَضَلَّه بن عبید رضي الله عنه أنه كان
يقوم إلى صلاة الليل فيتوضأ ويوقظ أهله، وكان يقرأ
بالمائة إلى المائة^(١).

يعني أنه يقرأ في الركعة ما بين ستين آية إلى مائة.

(١) سير أعلام النبلاء ٤٢/٣ .

من أخبار مسروق بن الأجدع رحمه الله

من أخباره في طول القيام ما روي عن أنس
ابن سيرين عن امرأة مسروق قالت: كان مسروق
يصلي حتى تورم قدماه ، فربما جلست أبكي مما
أراه يصنع بنفسه .

ومسروق هو ابن الأجدع الوادعي الهمداني من
أكابر علماء التابعين ، وكما كان مجتهداً في الصلاة فإنه
كان كذلك في الصيام ، كما روي عن الشعبي قال :
غُشيَ على مسروق في يوم صائف ، وكانت عائشة
رضي الله عنها قد تبنته ، فسَمَّى بنته عائشة ، وكان
لا يعصى ابنته شيئاً، قال : فنزلتُ إليه فقالت : يا أبتاه

أفطر واشرب ، قال : ما أردتِ بي يا بنية ؟ قالت :
الرَّفْق ، قال : يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم
كان مقداره خمسين ألف سنة ^(١) .

وهكذا كان هذا العالم الرباني قد جمع بين العلم
والعبادة بالصلاة والصيام، إضافة إلى الجهاد في سبيل
الله تعالى، فقد شلَّت يده يوم القادسية وأُصيب في
رأسه، ولا غرابة في ذلك فقد تربَّى تحت رعاية أم
المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهكذا كان الصحابة
والتابعون يجمعون في باب النوافل بين مختلف الأعمال
الصالحة ويؤدونها بتكامل واتّزان .

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٦٧ - ٦٨ .

وقوله «وكانت عائشة رضي الله عنها قد تبنته»
ليس المقصود به التبني الذي كان معروفا في الجاهلية
وأبطله الإسلام، وإنما المقصود أنه كان يعيش معها
وهو صغير كما يعيش الأبناء مع أمهاتهم .

من أخبار الأحنف بن قيس رحمه الله

ذكر الإمام الذهبي عن الأحنف بن قيس التميمي رحمه الله تعالى أنه قيل له : إنك كبير والصوم يضعفك ، قال : إني أعده لسفر طويل ، وقيل : كانت عامة صلاة الأحنف بالليل^(١)، وكان يضع إصبعه على المصباح ثم يقول : حَسُّ^(٢)، ويقول : ما حملك يا أحنف على أن صنعت كذا يوم كذا؟^(٣).

فهذا الخبر يبين لنا شدة إحساس الأحنف بن

(١) يعني النوافل المطلقة التي لم تحدد بزمن .

(٢) حَسُّ كلمة تقال عند الألم .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٩١ - ٩٢ .

قيس بالحياة الآخرة وما فيها من نعيم وأهوال
وعذاب، ولقد كان مشهوراً بالشجاعة وحسن الإدارة
في السلم والحرب، والتخلق بمكارم الأخلاق ، وقد
أضاف إلى هذه الفضائل اهتمامه بصلاة الليل وصيام
النفل ، وهذا دليل على قوة إيمانه وحضور قلبه مع الله
تعالى والحياة الآخرة .

من أخبار سعيد بن المسيب رحمه الله

من ذلك ما أخرجه محمد بن سعد من خبر
عمران بن عبد الله قال عن سعيد بن المسيب :
مافاتته صلاة الجماعة منذ أربعين سنة، ولانظر في
أقفائهم^(١) .

وهذا مثال على حرصه على اكتساب الحسنات
ورفعة الدرجات، حيث إن صلاة الجماعة تعادل سبعا
وعشرين صلاة من صلاة الفرد .
وقوله «ولانظر في أقفائهم» يعني أنه دائما في
الصف الأول، فليس أمامه مصلون .

(١) طبقات ابن سعد ١٣١/٥ .

وكونه يكون في الصف الأول من المسجد لمدة
أربعين سنة منقبة عالية ، وإذا نظرنا إلى مآثره الجليلة
في تعلم العلم وتعليمه والدعوة إلى الله وإصلاح
المجتمع فإننا نعرف كثافة الأعمال الصالحة التي قام
بها هذا العالم الجليل .

من أخبار زبيد بن الحارث رحمه الله

من الذين كانوا يحيون بيوتهم بالتهجد طوال الليل الحافظ زبيد بن الحارث الياامي الكوفي ، قال ابن شبرمة : كان زبيد يجزئ الليل ثلاثة أجزاء : جزءاً عليه وجزءاً على ابنه وجزءاً على ابنه الآخر ، فكان هو يصلي ثم يقول لأحدهما : قم ، فإن تكاسل صلى جزءه ، ثم يقول للآخر : قم ، فإن تكاسل صلى جزءه فيصلح الليل كله ^(١) .

فهذا عمل جليل من زبيد بن الحارث في تنوير بيته بالإيمان ، وإحيائه بالصلاة ، وله أسوة في ذلك

(١) سير أعلام النبلاء ٢٩٦/٥ .

بأبي هريرة رضي الله عنه الذي كان يقسم الليل أثلاثا،
يقوم ثلثه ، وتقوم زوجته ثلثه، ويقوم خادمه ثلثه كما
تقدم .

من أخبار أبي العالية وأصحابه رحمهم الله (١)

من أخبارهم في إحياء الليل بالعبادة ما أخرجه ابن سعد من حديث أبي خلدة خالد بن دينار قال : سمعت أبا العالية يقول: كنا عبيدا مملوكين ، مِنَّا من يؤدِّي الضرائب وَمِنَّا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة مرة ، فشقَّ ذلك علينا فجعلنا نختم كل ليلتين مرة، فشقَّ ذلك علينا فجعلنا نختم كل ثلاث ليال مرة، حتى شكا بعضنا إلى بعض ، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلمونا أن نختم كل جمعة - أو قال :

(١) أبو العالية هو رُفيع بن مهران الرياحي .

كل سبع - فصلينا ونمنا ولم يشق علينا^(١) .
وهذا طموح كبير وهمة عالية من هؤلاء الشباب
مع أنهم آنذاك مازالوا مملوكين ، وهذا دليل واضح
على صلاح مجتمع التابعين، وأن الذين كانوا يحيون
جزءاً من الليل بالصلاة عدد كبير حيث أصبحت
صلاة الليل ظاهرة عامة جعلت المملوكين يتأسسون
بسادتهم ومن حولهم من الصالحين .

(١) طبقات ابن سعد ٧/١١٣ .

من أخبار الربيع بن خثيم رحمه الله

من الذين كانوا يجيئون الليل الإمام أبو يزيد الربيع بن خثيم الثوري، وكان من تلاميذ أبي عبدالرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وكان يحبه ويكبره، حتى إنه قال له يوما : يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ، ومارأيتك إلا ذكرتُ المختين^(١) .

وكان الربيع من العبّاد المكثرين من العبادة ، وكان لا ينام في الليل، حتى أشفقت عليه ابنته فكانت تقول له : يا أبتاه ألا تنام؟! فيقول : كيف ينام من

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٢٥٨ - ٢٦٠ .

يخاف البيّات^(١) .

وهكذا كان ذكر الموت ملازما له ، وكان ذلك
يمنعه من الراحة ويحول بينه وبين النوم ، فلقد شبّه
نفسه في ترقبه الموت بمن يترقب هجوم العدو عليه في
الليل .

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٢٥٨ - ٢٦٠ .

من أخبار الإمام أبي حنيفة رحمه الله

من الذين اشتهروا بإحياء الليل بالتهجد الإمام
الفقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب
المشهور في الفقه.

رُوي عن القاضي أبي يوسف قال : بينما أنا أمشي
مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلا يقول لآخر : هذا أبو
حنيفة لا ينام الليل ، فقال أبو حنيفة : والله لا يُتحدَّث
عني بما لم أفعل ، فكان يجيي الليل صلاة وتضرعا
ودعاء^(١) .

فهذا أمر عجيب من هذا الإمام الذي بذل نفسه

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٩٩ .

لتعليم الناس وفتواهم، ومع ذلك يقوم بهذا الجهد
الكبير في إحياء الليل بالعبادة، وهذا فضل الله يؤتيه
من يشاء، ولعل علمه العميق ومقدرته على تلبية
طلبات طلاب العلم والعامّة كان من بركة قيامه في
الليل، والظاهر أن المقصود الإكثار من قيام
الليل، لأن إحياء الليل كله نهى عنه الرسول ﷺ، ومن
المستبعد من فقيه كبير كأبي حنيفة أن يخالف سنة
الرسول ﷺ.

من أخبار داود الطائي رحمه الله

من الذين اشتهروا بالعبادة العابد الفقيه داود
ابن نصير الطائي ، قال إسحاق السلولي : حدثني أم
سعيد بن علقمة - وكان سعيد من نُسَّاك النَّخَع
وكانت أمه طائية - قالت : كان بيننا وبين داود
الطائي جدار قصير، فكنت أسمع حينه عامة الليل
لا يهدأ، قالت : ولربما سمعته في جوف الليل يقول :
اللهم هُمَّك عطَّل عليَّ الهموم، وحالَ بيني وبين
السُّهاد ، وشوقي إلى النظر إليك منع مني اللذات
والشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب .
قالت : ولربما ترنَّم في السَّحَر بشيء من القرآن

فأرى أن جميع نعيم الدنيا جُمع في ترنُّمه تلك الساعة .
قالت : وكان يكون في الدار وحده، وكان
لا يصبح - تعني لا يسرج - (١) .
وهكذا كان هذا العابد الرباني وأمثاله مصابيح
هداية وقدوةً حسنة لمن كانوا حولهم ، وقد وصفت
هذه المرأة ترنُّم داود بالقرآن بوصف بليغ يدل على
صلاحها وتأثرها بما سمعتْ، حيث عدَّت سماعها
تلاوته أفضل من جميع نعيم الدنيا .

(١) أي لا يوقد السراج ، حلية الأولياء ٧/٣٥٦ - ٣٥٧ .

من أخبار عبيد الله القواريري رحمه الله

من الذين اشتهروا بالعبادة الإمام عبيد الله بن عمر القواريري، رُوي عنه أنه قال: لم تكن تكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة^(١) ، فنزل بي ضيف فشغلت به فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة، فإذا الناس قد صلوا ، فقلت في نفسي : يُروى عن النبي ﷺ أنه قال: «صلاة الجميع تفضل على صلاة الفذ إحدى وعشرين درجة» ورُوي «خمسا وعشرين وروي « سبعا وعشرين »^(٢) فانقلبت إلى منزلي

(١) أي صلاة العشاء .

(٢) في رواية البخاري ومسلم « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » - صحيح البخاري ، رقم ٦٤٥ ، الأذان (٢/١٣١) ، صحيح مسلم ، رقم ٢٤٩ ، المساجد (ص ٤٥٠) .

فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة ، ثم رقدت
فرأيتني مع قوم راكبي أفراس وأنا راكب ، ونحن
نتجارى وأفراسهم تسبق فرسي فجعلت أضربه
لألحقهم ، فالتفت إليّ آخرهم فقال: لا تُجهدُ فرسك
فلست بلاحقنا قال: فقلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا
العتمة في جماعة^(١) .

فهذا اجتهاد بالغ من هذا الإمام في تدارك صلاة
العشاء التي فاتته، فقد دار على مساجد البصرة
ليدركها فلم يحصل له ذلك، ثم اجتهد فصلى سبعا
وعشرين مرة ليحصل على فضيلة الجماعة، فما أعظم
هذا الحرص على درجات الثواب من هذا الإمام!

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٤٤٤ .

وكم قضى من الوقت والجهد في هذه الصلوات من
أجل تدارك مافاتة من مضاعفة الأجر بصلاة
الجماعة!

ولكنه مع ذلك رأى تلك الرؤيا العجيبة المباركة
التي تدل على أن المسلم وإن كرّر الصلاة سبعا
وعشرين مرة في بيته فلن يلحق بالثواب من حضروا
صلاة الجماعة ، وهذا دليل على أهمية الصلاة مع
الجماعة في المساجد وعِظَم منزلتها في الدين .
فكم يخسر الذين يصلون الصلوات الخمس أو
بعضها في بيوتهم! وكم أضاعوا من درجات من
الثواب عالية تُعَدُّ بالألوف والملايين!

إن في هذا الخبر لتذكراً للغافلين واستنهاضاً
لهمم المتكاسلين، وقُرّة عين للفائزين السابقين .

من أخبار عبد الله بن عون رحمه الله

من أخبار الاجتهاد في العبادة ما ذكر عن الإمام أبي عون عبد الله بن عون البصري، قال بكار بن محمد السّيريني: كان ابن عون يصوم يوما ويفطر يوما، وقال: وكان له سُبُع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أُمَّهُ بالنهار، وكان يغزو على ناقته إلى الشام فإذا صار إلى الشام ركب الخيل، وقد بارز روميا فقتل الرومي^(١).
فهذا الإمام الرباني كان يسير في صلاة الليل وصيام النفل على توجيه النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما، ومع بذل هذا الجهد فإنه

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٣٦٦ - ٣٧٠.

كان متفوقا في الجهاد، حيث كان يخرج للغزو
ويشارك في أشد فنون القتال وهو المبارزة ، وهذا هو
المنهج الذي كان يسير عليه الصحابة رضي الله عنهم.

من أخبار الإمام الأوزاعي رحمه الله

من اشتهر بكثرة العبادة الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عالم أهل الشام ، وفي عبادته يقول الوليد بن مَزَيْد : كان الأوزاعي من العبادة على شيء ماسمعنا بأحد قَوِيٍّ عليه، ما أتى عليه زوالٌ قطُّ إلا وهو قائم يصلي .

ويقول ضَمْرَةُ بن ربيعة : حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيتَه مضطجعا في المحمل في ليل ولا نهار قط ، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القَتَبِ .

ويقول أبو مسهر عن الأوزاعي : كان يحيي الليل

صلاة وقرآنا وبكاء، وأخبرني بعض إخواني من أهل
بيروت أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد
موضع مصلاه فتجده رطبا من دموعه في الليل^(١).
وإننا لنجد من آثار هذه العبادة ما اشتهر عنه من
القوة في أمر الله تعالى والشدة في الإنكار على
المخالفين ، حيث كان رفيع القدر عند الناس مرهوب
الجانب .

(١) سير أعلام البلاء ٧/١١٩ - ١٢٠ .

من أخبار الإمام سفيان الثوري رحمه الله

من الأئمة الذين اشتهروا بالعبادة أبو عبد الله
سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الإمام الكبير في
العلم والزهد والورع والعبادة، الذي حاز كثيرا من
صفات الكمال، ومن أخباره في العبادة ما ذكره علي بن
الفضيل قال: رأيت الثوري ساجداً فطفت سبعة
أسابيع قبل أن يرفع رأسه^(١).

أي أنه طاف سبع مرات كاملة والثوري لم يرفع
رأسه من السجود، وهذا مثل عالٍ في الخشوع المبني
على حضور القلب مع الله تعالى وجمع الفكر كله في

(١) سير أعلام النبلاء ٢٧٧/٧ .

هدف الصلاة .

وقال ابن مهدي: كنت لا أستطيع سماع قراءة
سفيان من كثرة بكائه^(١) .

وبهذا الإمام وأمثاله كان صلاح كثير من أبناء
المجتمع الإسلامي لأن رؤيته واللقاء به وسماع كلامه
وتلاوته .. كل ذلك يذكّر بالله تعالى والحياة الآخرة ،
وينفّر من اللهو بالدنيا والاعتزاز بها.

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٧ .

من أخبار سعيد التنوخي رحمه الله

من الذين اشتهروا بالعبادة سعيد بن عبد العزيز
ابن أبي يحيى التنوخي، يقول أبو عبد الرحمن
الأسدي: قلت لسعيد بن عبد العزيز: ما هذا البكاء
الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي
وماسؤالك عن ذلك؟ قلت: لعل الله أن ينفعني به،
فقال: ماقت إلى صلاة إلا مُثِّلْتُ لي جهنم^(١).

وهذا الخبر يكشف لنا سرًّا من أسرار خشوع
أولئك الصالحين واستغراقهم في الصلاة الطويلة
وعدم شعور بعضهم بما يكون حولهم، وكثرة بكائهم.

(١) سير أعلام النبلاء ٣١ / ٨ .

ويقول محمد بن المبارك عن سعيد بن
عبد العزيز: كان سعيد إذا فاتته صلاة الجماعة بكى^(١).
وهذا دليل على شدة خشيته من الله تعالى .

(١) سير أعلام النبلاء ٣١ / ٨ .

من أخبار عبد الله بن إدريس رحمه الله

من الذين اشتهروا بالعبادة الإمام عبد الله بن إدريس الأودي الحافظ المقرئ، قال حسين العنقزي :
لما نزل بابن إدريس الموت بكّت بنته، فقال: لا تبكي
بابنية فقد ختمتُ القرآن في هذا البيت أربعة آلاف
ختمة^(١) .

وهذا شاهد على كثرة تلاوته وعبادته، وكونه رد
على ابنته لما بكت بهذا الرد دليل على فقهه لأن الذي
يُبكى عليه هو الذي فرط في أمره، وقَدِم على ربه
بمعصية أو ترك واجب، أما الذي قد عمر بيته

(١) تاريخ بغداد ٩/٤٢١ .

بالصلاة والتلاوة ولم يرتكب مآثماً فلاأسف على فقدته
لأنها آجال مكتوبة وفراق محدود، ثم يلتقي المؤمنون
في دار خالدة لايفترقون فيها أبداً.

من أخبار وكيع بن الجراح رحمه الله

من الذين اشتهروا بالعبادة الإمام الحافظ أبو
سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي، قال يحيى بن
أيوب: حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا
يلزمونه أن وكيعاً كان لا ينام حتى يقرأ جزءه من كل
ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ
المفصل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع
الفجر .

وقال أحمد بن سنان : رأيت وكيعاً إذا قام في
الصلاة لا يتحرك منه شيء ، لا يزول ولا يميل على

رجل دون أخرى^(١) .

فهذا دليل على كثرة صلاته وعلى خشوعه، ومع
هذا السهر في الليل للعبادة فإنه يجلس في النهار
لطلاب العلم ويروي لهم ما حفظ من السنن
والآثار، وذلك من توفيق الله تعالى لهذا العالم الرباني
وأمثاله .

(١) سير أعلام النبلاء ٩/١٤٨ - ١٥٧ .

من أخبار الفضيل بن عياض رحمه الله

من الذين اشتهروا بالاجتهاد في العبادة الفضيل
ابن عياض التميمي ، قال عنه إسحاق بن إبراهيم
الطبري: مارأيت أحدا أخوف على نفسه، ولا أرجى
للناس من الفضيل، كانت قراءته حزينة شهية بطيئة
مترسلة، كأنه يخاطب إنسانا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر
الجنة يُردّد فيها ويسأل، وكانت صلواته بالليل أكثر
ذلك قاعدا، يُلقى له الحصير في مسجده فيصلّي من
أول الليلة ساعة، ثم تغلبه عينه فيلقي نفسه على
الحصير، فينام قليلا ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام ثم
يقوم، هكذا حتى يصبح، وكان دأبه إذا نعس أن

ينام، ويقال: أشد العبادة ما كان هكذا^(١).

هذا الخبر فيه نموذج من صلاة الصالحين وهي تشمل على الصفات التالية: الترسل والتأني في القراءة ، وظهور الحزن في صوت القارئ ، وترديد الآيات التي فيها ذكر الجنة مع الدعاء بالظفر بها .
ومن هذا الخبر يتبين لنا قوة إحساس الفضيل واهتمامه بالصلاة، فهو إذا غلبه النوم نام قليلا، ثم قام وعاد إلى الصلاة ، ولم تكن الساعات المنبّهة موجودة في ذلك الوقت، ولكن دقة إحساس الفضيل وأمثاله تفوق أثر كل الساعات المنبّهة .

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٧ .

من أخبار العابد أحمد بن حرب رحمه الله

من ذلك ما ذكر عن أبي عبد الله أحمد بن حرب
النيسابوري قال أبو عمرو ومحمد بن يحيى : مرَّ أحمد بن
حرب بصبيان يلعبون، فقال أحدهم : أمسكوا فإن
هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض على
لحيته وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام ؟ فأخْبِي
الليل بعد ذلك حتى مات (١).

ففي هذا الخبر مثل من اتهامات الصبيان في
ذلك العصر فقد وصفوا العابد أحمد بن حرب بأنه
لا ينام الليل ، وكان وصفهم على سبيل المدح ، وكان

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٣ .

لهذا مهيباً عندهم ، وهذا دليل على صلاح المجتمع
آنذاك حيث يُعزُّ أفرادُه أهل الاجتهاد في العبادة .
وليس المراد بقول أحمد بن حرب عن نفسه
«وأنت تنام » أنه كان ينام الليل كله ، بل كان ينام
بعضه ، فلما سمع مقالة الصبي علم أن قد طارت له
في المجتمع شائعة بأنه لكثرة صلاته بالليل لا ينام، فعزَّ
عليه أن تكون سمعته عند الناس أعلى من واقع
عبادته فكان بعد ذلك يُحیی الليل كله ولا ينام .

من أخبار الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله

من العلماء الذين اشتهروا بالعبادة الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، وفي ذلك يقول المروزي : رأيت أبا عبد الله يقوم لورده قريبا من نصف الليل حتى يقارب السحر ، ورأيته يركع فيما بين المغرب والعشاء .

وقال ابنه عبد الله : ربما سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم ، وكان يكثر الدعاء ويخفيه ، ويصلي بين العشاءين ، فإذا صلى عشاء الآخرة ركع ركعات صالحة ، ثم يوتر وينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيصلي وكانت قراءته ليّنة ربما لم أفهم بعضها ، وكان

يصوم ويُدْمِنُ ثم يفطر ماشاء الله ، ولا يترك صوم
الإثنين والخميس وأيام البيض، فلما رجع من العسكر
أدمن الصوم إلى أن مات .

وقال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول :
حججت على قدمي حجتين وكفاني إلى مكة أربعة
عشر درهماً^(١) .

في هذه الأخبار وصف لعبادة الإمام أحمد
في الصلاة والصيام والحج، وكونه يشغل أكثر
الليل بالصلاة مع اشتغاله بالنهار بتعليم العلم
والفتوى ومقابلة الوافدين يُعدُّ من البركة التي

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٣ .

منَّ الله تعالى بها عليه.

ويقول عاصم بن عاصم البيهقي : بت ليلة عند
أحمد بن حنبل فجاء بقاء فوضعه ، فلما أصبح نظر إلى
الماء بحاله فقال : سبحان الله! رَجُلٌ يطلب العلم
لا يكون له ورد بالليل^(١) .

وهكذا تعجَّب الإمام أحمد من ذلك الشاب
الذي بات عنده كيف ينام الليل كله وهو يطلب
العلم! إنَّ طلب العلم لا بد أن يرافقه العمل، وكيف
يمرُّ طالب العلم بالأحاديث المرغَّبة في قيام الليل ثم
لا يطبق ما جاء فيها!

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢٩٨ .

إن طلاب العلم عند الإمام أحمد ينبغي أن
يكون لهم سماتٌ خاصةٌ ومنهج خاص، من جملة أن
يبادروا إلى التسابق في أداء النوافل، وأن لا يكتفوا
بالقليل منها الذي يطبقه عامة الناس .
وبهذا المنهج التربوي الذي كان العلماء يأخذون
به طلابهم كان الصلاح يغلب على طلاب العلم في
تلك العصور .

من أخبار محمد بن أسلم رحمه الله

من الذين عُرِفوا بالاجتهاد في العبادة الإمام
أبو الحسن محمد بن أسلم الخراساني ، يقول محمد بن
القاسم الطوسي : صحبت محمد بن أسلم أكثر من
عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من
التطوع إلا يوم الجمعة ، وسمعته كذا وكذا مرة
يخلف: لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي
لفعلت، خوفا من الرياء ، وكان يدخل بيتاً له ويُغلق
بابه ولم أدر ما يصنع حتى سمعت ابناً له صغيراً يحكي
بكاءه ، فنهته أمه ، فقلت لها : ما هذا ؟ قالت: إن أبا
الحسن يدخل هذا البيت فيقرأ ويبكي ، فيسمعه

الصبي فيحكيه، وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه
واكتحل فلا يرى عليه أثر البكاء .

وكان يصل قوماً ويكسوهم ويقول للرسول :
انظر أن لا يعلموا من بعثه ، ولا أعلم منذ صحبته
وصل أحداً بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه
ذلك^(١) .

فهذا خبر رائع يشتمل على مواقف عالية في
العبادة من الإمام أبي الحسن محمد بن أسلم
الخراساني، فهو لا يكاد يصلي في المسجد إلا الفرائض
بعداً عن الرياء ، ولكنه يجيي بيته بصلاة الليل ،

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٠٠-٢٠١ .

ويبكي من خشية الله تعالى بكاء يُسمع من خارج
الغرفة التي أقفل بابها، ويبذل جهده في إخفاء آثار
البكاء، ولكن ذلك ظهر على لسان ذلك الطفل الذي
أصبح يحكي بكاءه ليكون في سيرته عبرةً للناس في
عصره وبعد ذلك .

ولقد كان لخلوته لعبادة ربه في الليل أثر كبير في
رسوخ إيمانه وقوة شخصيته ، حيث أصبح قَوَّالاً
بالحقّ أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر داعياً إلى الله
تعالى لا يخشى في الله لومة لائم، ولما مات صلى عليه
أكثر من ألف ألف .

قيل للإمام أحمد بن نصر : يا أبا عبد الله صلى

عليه ألف ألف وقال بعضهم: ألف ألف ومائة ألف
من الناس ،يقول صالحهم وطالحهم :لم نعرف لهذا
الرجل نظيرا ، فقال أحمد بن نصر: يا قوم أصلحوا
سرائركم بينكم وبين الله ،ألا ترون رجلا دخل بيته
بطوس فأصلح سره بينه وبين الله ، ثم نقله الله إلينا
فأصلح الله على يديه ألف ألف ومائة ألف من
الناس!^(١).

وهكذا أدرك الإمام أحمد بن نصر أثر العبادة
الخفية في صقل النفوس وتطهيرها وتقويتها على قول
الحق وإصلاح الناس .

(١) حلية الأولياء ٩ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

من أخبار الإمام البخاري رحمه الله

من أخبار اهتمام الإمام البخاري بالصلاة
ما ذكره كاتبه محمد بن أبي حاتم قال : دُعي محمد بن
إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه، فلما صلى الظهر
قام للتطوع فأطال القيام ، فلما فرغ من صلاته رفع
ذيل قميصه فقال لبعض من معه : انظر هل ترى
تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو
سبعة عشر موضعاً، وقد تورّم من ذلك جسده وكان
آثار الزنبور في جسده ظاهرة ، فقال له بعضهم :
كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ قال : كنت
في سورة فأحببت أن أتمها^(١) .

(١) تاريخ بغداد ٢ / ١٢ - ١٣ .

فهذا اهتمام كبير من أبي عبد الله البخاري
بالصلاة حيث تحمل لسع الزنبور المتواصل حتى
تورم جسده ولم يقطع صلاته أو يسرع فيها، لأنه كان
قد بدأ في سورة فأحب أن يتمها .

وقد أشبهه في ذلك عبّاد بن بشر رضي الله عنه
يوم أن كان هو وعمار بن ياسر رضي الله عنه يجرسان
جيش المسلمين ، وكان عباد يصلي في نوبته فأصابه
أحد الأعداء بثلاثة أسهم فلم يقطع صلاته، وحينما
عاتبه في ذلك عمار قال : كنت في سورة أقرأها فلم
أحب أن أقطعها حتى أنفذها .

من أخبار محمد بن نصر رحمه الله

من أمثلة الخشوع في الصلاة ما ذكره محمد بن يعقوب بن الأخرم قال : مارأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر ، كان الذباب ^(١) يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته و خشوعه وهيئته للصلاة، كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كأنه خشبة منصوبة ^(٢) .

فهذا مثل من الخشوع في الصلاة إلى الحد الذي يترك فيه الإمام محمد بن نصر المروزي ما أباحه الله له

(١) يعني الزنبور .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦ - ٣٧ .

من إزالة تلك الحشرة المؤذية ، وهذا يعدُّ من المبالغة
في احترام الصلاة وتعظيم قدرها، كيف لا وهو
صاحب الكتاب النفيس « تعظيم قدر الصلاة » ؟

من أخبار محمد بن خفيف رحمه الله

ذكر الإمام الذهبي في ترجمة أبي عبد الله محمد بن خفيف أنه كان به وجع الخاصرة فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة، فكان إذا نودي بالصلاة يُحمل على ظهر رجل ، ف قيل له : لو خفت على نفسك ؟ قال: إذا سمعتم حيَّ على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة^(١).

فهذا اهتمام كبير من هذا العالم الجليل بالصلاة مع الجماعة في المسجد، فهو معذور بمرضه لو صلى في بيته، ولكنه يكلف من يحمله إلى المسجد لأداء

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/٣٤٦.

الصلاة حتى لا يفوته الأجر المضاعف لمن أدى
الصلاة مع الجماعة في المسجد .

وهو في هذا يطبق قول عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه : حافظوا على هذه الصلوات الخمس حيث
يُنَادَى بهن فإنهن من سنن الهدى، وإنكم لو صَلَّيْتُمْ
في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لخالفتم سنة
نبيكم ، ولو خالفتم سنة نبيكم لضللتكم ، ولقد رأيتنا
وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، حتى إن
الرجل لِيُؤْتَى به يُهَادَى بين الرجلين حتى يقام في
الصف .

وفي قول ابن خفيف « إذا سمعتم حيَّ على

الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة» تعبير
بليغ عن أهمية صلاة الجماعة في المسجد ، حيث اعتبر
أن المانع منها هو الموت، وهو محمول على الأمراض
التي يستطيع صاحبها الوصول إلى المسجد ولو
بواسطة ، أما مع عدم الاستطاعة فلا يكلف الله نفسا
إلا وسعها ، وقد قال الله تعالى ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا
أَسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] وقال رسول الله ﷺ «إذا
أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(١)
وإذا كان هذا العالم وأمثاله يكلفون أنفسهم

(١) صحيح البخاري ، رقم ٧٠٨٧ ، الاعتصام (٢٥١/١٣) ،
صحيح مسلم ، رقم ١٣٣٧ ، الحج (ص ٩٧٥) .

الوصول إلى المسجد مع المشقة فكيف بالمقصرين
الذين يتركون الصلاة في المسجد وهم يتمتعون
بنعمتي الصحة والأمن!؟

من أخبار ابن دقيق العيد وتلميذه رحمهما الله

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : وقرأت بخط
محمد بن عبدالله العثماني قاضي صفد: أخبرني الأمير
سيف الدين بلبان الحسامي قال: خرجت يوماً إلى
الصحراء فوجدت ابن دقيق العيد في الجبّانة واقفاً
يقرأ ويدعو ويبكي، فسألته فقال: صاحب هذا القبر
كان من أصحابي وكان يقرأ علي، فمات فرأيتُه
البارحة، فسألته عن حاله فقال: لما وضعتُموني في
القبر جاءني كلب أبقع^(١) كالسبع وجعل يروعي
فارتعبت ، فجاء شخص لطيف في هيئة حسنة فطرده

(١) أي لونه سواد في بياض .

وجلس عندي يؤنسني، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا
ثواب قراءتك سورة الكهف يوم الجمعة^(١) .

فهذه رؤيا صالحة رآها العالم الفقيه محمد بن علي
المنفلوطي المعروف بابن دقيق العيد، والرؤى
الصالحة بين الأحياء والأموات تكررت كثيرًا في محيط
العلماء وطلاب العلم، وذلك يعبر عن قوة العلاقة
القلبية بين من رأى الرؤيا ومن رؤيت له، فإذا فقد
المحب حبيبه وكان من أهل الصلاح والتقوى وشعر
بشيء من الوجد والإشفاق عليه فإن الله تعالى يقدر له
أن يراه في المنام ليخفف مما في نفسه من الهم نحوه .

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤ / ٩٥ - ٩٦ .

والشيء الذي يلفت النظر ويحقق العبرة في هذه
الرؤيا بيان فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ،
حيث تجسم هذا الثواب بصورة رجل لطيف في هيئة
حسنة فأزال المكروه عن صاحب ذلك الثواب
وأدخل عليه السرور والأنس .
والذي يظهر أن الكلب المذكور يُمثّل عملاً سيئاً
ارتكبه ذلك الرجل ، وأن ثواب قراءته سورة الكهف
يوم الجمعة قد محا الله به تلك السيئة .

من أخبار العالم العابد

جلال الدين التبريزي رحمه الله

قال الشيخ عبد الحي الندوي : سافر إلى بغداد
وصحب الشيخ الكبير شهاب الدين عمر
السهرورديّ مدة طويلة حتى بلغ رتبة الكمال، وقدم
الهند مرافقاً للشيخ بهاء الدين أبي محمد زكريا الملتاني
فأقام ببدايون برهة من الزمان .
ثم ارتحل إلى بنكاله ، وهو ممن أدركه الشيخ
محمد بن بطوطة المغربي الرحالة الذي قدم الهند عام
أربع وأربعين وسبعمائة .
وأدركه الشيخ ابن بطوطة في جبال كامر - بلدة

بينها وبين سد كانوا مسيرة شهر - وهي جبال
متسعة متصلة بالصين وتتصل ببلاد التبت .

قال ابن بطوطة في كتابه: إن هذا الشيخ من كبار
الأولياء وأفراد الرجال، له الكرامات الشهيرة والمآثر
العظيمة، وهو من المعمرين، أخبرني أنه أدرك الخليفة
المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بها حين قتله
التر .

قال: وأخبرني أصحابه بعد هذه المدة أنه مات
ابن مائة وخمسين وأنه كان نحو أربعين سنة يسرد
الصوم ولا يفطر إلا بعد مواصلة عشر، وكانت له
بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله، وكان نحيف

الجسم طويلاً خفيف العارضين، وعلى يديه أسلم
أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم، قال: وأخبرني
بعض أصحابه أنه استدعاهم قبل موته بيوم واحد
وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم: إني أسافر عنكم غداً
إن شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا إله إلا
هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة
منها، ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبراً
محفوراً عليه الكفن والحنوط، فغسلوه وكفنوه وصلوا
عليه ودفنوه به، ثم ذكر الشيخ ابن بطوطة كرامات
عديدة له^(١).

(١) المختار المصون / ٢٦٢ عن كتاب الإعلام للندوي .

فهذا العالم العابد استطاع بخشوعه وعبادته
المتواصلة أن يؤثر على أهل تلك الجبال، فاهتدوا إلى
الإسلام لإعجابهم الكبير بهذا الشيخ، ولاشك أن
الذين يتسابقون إلى الدنيا ويتنافسون عليها يعجبهم
أن يروا رجلا يعيش في أفكاره في عالم آخر، فيحرم
نفسه في الليل من لذيذ النوم ، ويحرم نفسه في النهار
من لذيذ الطعام والشراب، في الوقت الذي يغطُّ فيه
الآخرون في نومهم ويتمتعون بطعامهم وشرابهم .
فالذين يرون حياة هذا الرجل الزاهد
سيتساءلون : ما الذي جعله يحرم نفسه من ملذات
الدنيا وهو يملك الغرائز التي يملكها الآخرون؟

وحيثما يعلمون أنه إنما ترك نعيم الدنيا من أجل أن يسعد بنعيم الآخرة الخالد يبدؤون بالتساؤل عن الحياة الآخرة ومصير الإنسان بعد الموت، وهذا يقودهم إلى الإسلام لأنه ليس هناك أي دين على وجه الأرض يستطيع أن يجيب على هذه التساؤلات إلا الإسلام، وهذا يدفعهم إلى الإيمان بهذا الدين الذي ينقلهم من الجو المادي المحض إلى جو روحاني لا يتنافى مع مطالب الجسم المادية المعتدلة، بل يهذبها وينظمها حتى تأخذ حجمها اللائق بها .

من مواقف القاضي

منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله

قال الحافظ الذهبي : قال الحسن بن محمد :
قَحَطَ الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر^(١) ،
فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء
بالناس، فصام أيامًا وتأهب، واجتمع الخلق في مصلى
الرَّبَضِ ، وصعد الناصر في أعلى قصره ليشاهد الجمع
فأبطأ منذر ثم خرج راجلا متخشعا ، وقام ليخطب ،
فلما رأى الحال بكى ونشج وافتتح خطبته بأن

(١) الناصر هو عبد الرحمن بن محمد الأموي، تولى الحكم في
الأندلس عام ٣٠٠هـ.

قال: سلام عليكم، ثم سكت شبه الحسير، ولم يكن من عادته ، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ثم اندفع فقال : ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] استغفروا ربكم وتوبوا إليه وتقربوا بالأعمال الصالحة لديه، فضجَّ الناس بالبكاء ، وجأروا بالدعاء والتضرع، وخطب فأبلغ، فلم ينفُضَ القوم حتى نزل غيث عظيم .

واستسقى مرة فقال يهتف بالخلق ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥ - ١٦] فهيج الخلق على البكاء .

قال : وسمعت من يذكر أن رسول الناصر جاءه للاستسقاء فقال للرسول : ها أنا سائر ، فليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة في يومنا هذا ؟ فقال : مارأيته قط أخشع منه في يومه هذا ، إنه منفرد بنفسه لابس أحسن الثياب ، مفترش التراب ، قد علا نحيبه واعترافه بذنوبه، يقول : رب هذه ناصيتي بيدك ، أترأك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم ، أن يفوتك مني شيء ، فتهلل منذر بن سعيد وقال : يا

غلام احمّل الممطرة معك^(١) ، إذا خشع جبار الأرض
رحم جبار السماء^(٢) .

فهذا موقف من العالم الرباني منذر بن سعيد
البلوطي في الخشية من الله تعالى والخضوع له والرجاء
لما عنده من الخير ، وقد سبق ذلك استعداد روحي
بمواصلة الصيام والتأهب لذلك اليوم بالتقرب إلى
الله جل وعلا بالأعمال الصالحة ، وفي هذا يبين هذا
العالم أن الاستسقاء ليس مجرد الاجتماع للصلاة
والدعاء بدون استعداد روحي وتأهب سابق بالإكثار

(١) الممطرة ثوب من الصوف يتقي به المطر .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٧٦ .

من الأعمال الصالحة والتنزه عن المحرمات
والمكروهات، بل إن ذلك أمر مهم في إجابة الدعاء
مع حضور القلب مع الله تعالى والخضوع له والتذلل
بين يديه .

وفي الخبر الثاني يشير منذر بن سعيد إلى أمر مهم
في إجابة الدعاء وهو خشوع الحكام وخضوعهم لله
تعالى وإنابتهم إليه وقربهم منه، وقد استبشر حينما
علم أن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر على تلك
الحال المذكورة من الخشوع والتذلل لله تعالى ، وقوي
أمله في إجابة الله تعالى وهطول المطر .

فهرس المصادر والمراجع

- تاريخ بغداد/ للحافظ أحمد بن علي الخطيب
البغدادى/ الناشر: دار الكتاب العربى فى بيروت.
- تاريخ دمشق/ للحافظ أبى القاسم على بن الحسن
بن هبة الله «ابن عساكر»/ الناشر: دار الفكر .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ للحافظ أبى
نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني/ الناشر: مكتبة
الخانجى ومطبعة السعادة فى مصر.
- سنن الترمذى / للحافظ أبى عسى محمد بن
عيسى الترمذى/ الناشر: المكتبة الإسلامية .
- سنن ابن ماجه/ للحافظ محمد بن يزيد القزوينى

- «ابن ماجه»/ الناشر: دار إحياء الكتب العربية .
- سير أعلام النبلاء / للحافظ محمد بن أحمد
الذهبي/ الناشر: مؤسسة الرسالة في بيروت .
- صحيح البخاري/ للإمام أبي عبد الله محمد بن
إسماعيل البخاري/ الناشر: المطبعة السلفية
ومكتبتها في القاهرة.
- صحيح مسلم/ للإمام مسلم بن الحجاج
القشيري/ الناشر: دار إحياء التراث العربي .
- الطبقات الكبرى/ لمحمد بن سعد بن منيع/
الناشر: دار صادر في بيروت.
- المختار المصون من أعلام القرون / للدكتور

محمد بن حسن بن عقيل موسى / الناشر : دار

الأندلس الخضراء - جدة .

- مسند أحمد / للإمام أحمد بن حنبل الشيباني /

الناشر: المكتب الإسلامي ودار صادر - بيروت .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٩	نماذج من عبادة النبي ﷺ
١٩	من أخبار أبي بكر الصديق ﷺ
٢٢	من أخبار أمير المؤمنين عمر ﷺ
٢٣	من أخبار أمير المؤمنين عثمان ﷺ
٢٧	وصف أمير المؤمنين علي لعبادة الصحابة ﷺ ..
٣٠	من أخبار أبي موسى الأشعري ﷺ
٣٤	من أخبار أبي هريرة رضي الله عنه
٣٦	من أخبار شداد بن أوس رضي الله عنه ...

الموضوع	الصفحة
من أخبار ابن عباس رضي الله عنهما	٣٧
من أخبار أنس بن مالك رضي الله عنه ...	٣٩
من أخبار أسامة بن زيد رضي الله عنهما ..	٤٣
من أخبار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .	٤٥
من أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما .	٥٠
من أخبار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما	٥٢
من أخبار عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما	٥٦
من أخبار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	٦٥
من أخبار أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه	٦٦
من أخبار مسروق بن الأجدع	٦٧

الصفحة	الموضوع
٧٠	من أخبار الأحنف بن قيس
٧٢	من أخبار سعيد بن المسيب
٧٤	من أخبار زُبيد بن الحارث
٧٦	من أخبار أبي العالية وأصحابه
٧٨	من أخبار الربيع بن خثيم
٨٠	من أخبار أبي حنيفة النعمان
٨٢	من أخبار داود الطائي
٨٤	من أخبار عبيد الله القواريري
٨٨	من أخبار عبد الله بن عون
٩٠	من أخبار أبي عمرو الأوزاعي

الصفحة	الموضوع
٩٢	من أخبار سفيان الثوري
٩٤	من أخبار سعيد التنوخي
٩٦	من أخبار عبد الله بن إدريس
٩٨	من أخبار وكيع بن الجراح
١٠٠	من أخبار الفضيل بن عياض
١٠٢	من أخبار أحمد بن حرب
١٠٤	من أخبار أحمد بن حنبل
١٠٨	من أخبار محمد بن أسلم
١١٢	من أخبار أبي عبد الله البخاري
١١٤	من أخبار محمد بن نصر

الصفحة	الموضوع
١١٦	من أخبار محمد بن خفيف
١٢٠	من أخبار ابن دقيق العيد وتلميذه
١٢٣	من أخبار العابد جلال الدين التبريزي ...
١٢٨	من مواقف منذر بن سعيد البلوطي
١٣٣	فهرس المصادر والمراجع
١٣٧	فهرس الموضوعات